مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-046
المجلد5 ، العدد11، (سبتمبر 2017) EISSN : 2600-6421

المنهج اللساني الاتصالي
نحو منهج نقدي جديد لتحليل النصوص

الدكتور : نوارعبيدي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الشاذلي بن جديد. الطارف

مقدمة

لقد أخذت الدراسات التحليلية للنصوص في السنوات الأخيرة حيزا كبيرا من النقاش والجدال، وتم اقترح عديد الطرائق والمناهج التحليلية للوصول إلى أقصى درجات فهم النص والإمساك بقصده ومراده، وتفسير أسباب متعته.

في هذا المقال سنقترح منهجا جديدا في تحليل النصوص - والذي نأمل أن يلتحق بالمناهج النقدية الحديثة - يعتمد الجمع بين: علوم اللسان، وعلوم الاتصال وستكون النصوص بمختلف مشاربها المدونة التطبيقية لهذا المنهج.

وقد يقول البعض إن علاقة اللسانيات بالاتصال نظر فيها كثير من الباحثين، فنقول: نعم هذا صحيح، فكثير من علماء اللغة المعاصرين لا يبتعدون كثيرا عن الحديث عن التواصل والاتصال وخصائصه وعناصره، بل لا تكاد تعثر على بحث يتحدث عن قضايا اللغة الفلسفية وما تبعها من قضايا كالكلام والفهم والقصد والمعنى إلا وتحدثوا عن اللسانيات والنص الأدبي والاتصال ونظرياته وعناصره ووظائفها إلى غير ذلك من المسائل المرتبطة بالاتصال، ولعل كل ذلك اجتمع تحت مصطلح الخطاب، وقد تكلم دوسوسير، وجاكبسون، وبلومفيلد، وتشومسكي وغيرهم كثير من كبار اللسانيين الغربيين عن هذه المسائل المتداخلة وتبعهم في ذلك جملة كبيرة من اللغوين العرب. لكن ما سنقترحه نحن هو منهج نقدي جديد أسميناه **المنهج اللساني الاتصالي لتحليل النصوص** والذي سيستثمر النظرية الاتصالية لدمجها في المباحث اللسانية.

مبادئ المنهج:

تنطلق مبادئ هذا المنهج مما يأتي:

أولا: توضيح مفردات عنوان المنهج وهي: اللسانيات والاتصال ومفهومهما.

ثانيا: عرض مراحل تطبيق هذا المنهج مع بعض الأمثلة التوضيحية.

أولا: توضيح مفردات عنوان المنهج

1) اللسانيات:

قبل الحديث عن مصطلح اللسانيات نبين أولا أننا نتبنى مفهوم علوم اللسان الذي فهمه ابن خلدون (808هـ) عندما قال بأن أركان علوم اللسان أربعة وهي" اللّغة والنّحو والبيان والأدب "[1]. وهذه الفنون الأربعة لم تكن في التراث العربي منفصلة بعضها عن بعض، فكثير من المؤلفات التي وصلتنا والتي نسميها مصادر الأدب واللغة العربية؛ كانت تجمع بين كل تلك العلوم والمعارف.

ما نريد قوله أن علوم اللسان العربي لا تخرج عن الإلمام بعلم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب، أما علم اللغة فكل ما تعلق بفقه اللغة وصوتها ومفرداتها ومعانيها، وعلم النحو هو ما اختص بقوانين الاستعمال اللغوي، وعلم البيان ما اختص بفنون القول، وأما علم الأدب فكل ما تعلق بإنتاج الشعر والنثر ونقدهما. ويجمع مصطلح علم اللسان بهذا المفهوم مصطلحين كبيرين هما اللغة واللسان.

لنبين الآن ما تعلق بالمصطلح؛ لقد اخترنا مصطلح اللسانيات لتسمية منهجنا (اللساني الاتصالي) لأن أصل المصطلح (وهو اللسان) معروف في التراث العربي، وليس هو نتاج البحث الغربي كما يتوهمه بعض الباحثين. ونعتقد أن مصطلح (اللسان) أوسع من مصطلح (اللغة). إلا أن المعاجم العربية لم تفرق بينهما بدقة متناهية. فعند ابن فارس (395 هـ): اللسان من أصل واحد (ل س ن) ... واللَّسَن جودة اللسان والفصاحة، **واللِّسن اللغة**، يقال لكل قوم لِسْن أي لغة"[2]. أما الفيروز أبادي (817هـ) فيجمع بين ثلاثة مصطلحات تحت لفظ (لسن) وهي: الكلام، واللغة، واللسان[3].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988، ص 753

[2] ابن فارس، المقاييس، تح شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط1/ 1993. (ل س ن).

[3] الفيروزأبادي، القاموس المحيط، تح نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2004/1. مادة (ل س ن).

وقد وردت مادة (ل س ن) في القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة (بصيغة المفرد والجمع) بعضها يعني اللغة، كقوله تعالى" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ "[1]، أو قوله" بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"[2]. وبعضها يعني الاستعمال اللغوي كقوله تعالى"وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي "[3]، أو قوله تعالى" وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا "[4]. وقد تعني الجارحة كقوله تعالى" أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ "[5].

أمّا اللغة فلها " أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على الشيء الذي لا يعتد به، والآخر على اللّهج بالشيء. فالأول اللغو ومنه لغا يلغو، واللغا هو اللغو، ومنه لغو الإيمان، ولغى بالأمر إذا لهج به. ويقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها به"[6]، واللغا الصوت. ويقال لغى به أي لهج به[7]. ومن هذا الاشتقاق جاء مصطلح اللهجات، والتي يسميها القدماء لغات. واللغو ما لا يعتد به من كلام وغيره[8].

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة (لغة)، لكنها وردت بمادة (لغو) تسع مرات وتعني عموم (اللغو) الذي هو ما لا يعتد به من الكلام؛ كقوله تعالى" لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا"[9]، وقوله تعالى" وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ "[10]، وقوله تعالى" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ "[11]. وقد ارتبط اللغو هنا بالسماع دليلاً على الاستعمال اللغوي. أمّا قوله تعالى" لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً"[12] فمثل قوله تعالى" لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا "[13].

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 4.

[2] سورة الشعراء، الآية 195.

[3] سورة الشعراء، الآية 13.

[4] سورة القصص، الآية 34.

[5] سورة البلد، الآية 8-9.

[6] المقاييس، (ل غ و).

[7] الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987 (ل غ و).

[8] القاموس، (ل غ و).

[9] سورة مريم، الآية 62.

[10] سورة القصص، الآية 55.

[11] سورة فصّلت، الآية 26.

[12] سورة الغاشية، الآية 11.

[13] سورة مريم، الآية19.

وقد عثرنا في كتاب سيبويه (185ه) على مصطلحي اللسان واللغة، ولم نجد في استعمالاته لهذه المصطلحات تعريفاً لها، أو حداً علمياً يفهم منه سبب استعمال المصطلح. أمّا مصطلح اللسان فقد ورد في الكتاب سبعا وسبعين مرة، وكان سيبويه يقصد به الجارحة، خاصة في حديثه عن مخارج الحروف وصفاتها، أو الإشارة إلى بعض الاستعمالات العربية كحذف بعض الحروف " تخفيفاً على اللسان "[1]. وجاءت اللفظة بمعنى اللغة في موضع واحد فقط [2].

أمّا مصطلح اللغة فقد ورد في الكتاب تسعين مرة، معظمها يعني به اللهجات بمفهوم اللسانيات الحديثة. حيث ذكر من لغات القبائل لغة الحجاز، وتميم، وخثعم، وفزارة، وهذيل وغيرها[3]. أو يقول مثلاً: هذه لغة للعرب جيدة[4]، أو اللغة العربية القديمة الجيدة[5]، أو لغة من ترضى عربيته[6]، أو المطردة[7]. وعند نقده للغة معينة يقول: هذه لغة رديئة[8]، أو لغة ضعيفة[9].

ويمكن أن يأخذنا البحث في مصطلحي اللسان واللغة إلى مسالك كثيرة ، ولكن الإشارة التي أردناها هي أن البحث اللغوي العربي أخذ كل تلك الدلالات في الحسبان. وواضح عندهم أن اللسان واللغة - وإن كانا يشتركان في الفعل أو الأداء - إلا أنهما يختلفان في دلالتهما العميقة. وقد ذكر د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن " المفهوم العام الذي عرفه لفظ اللغة؛ ما عُرف في الحقيقة إلا بعد نهاية القرن الثاني الهجري، وأن الأصل في الدلالة عليه هو ما استعمله القرآن الكريم - حيث لا توجد فيه كلمة أخرى لهذا المدلول غير (اللسان) - والشعر الجاهلي والإسلامي وما نقل من كلام النحويين قبل وفاة سيبويه،

---

1. سيبويه، الكتاب، تحقيق د/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1966/1. ج1 ص160.
2. م ن، ج3 ص110.
3. للمزيد انظر فهرس القبائل الذي صنعه د/ عبد السلام هارون في الكتاب، ج5 ص195.
4. م ن، ج2 ص205.
5. م ن، ج4 ص473.
6. م ن، ج3 ص533.
7. م ن، ج4 ص346.
8. م ن، ج2 ص34.
9. م ن، ج4 ص338.

وكل ما ألّف في ذلك العهد في العربية، والفقه، والحديث، وغير ذلك،،، **فلا يوجد منها إلا لفظ (اللسان)** "[1].

ولم يرد عند القدماء تعريف لمصطلح اللغة أبين مما جاء عند ابن جني، فحد اللغة عنده "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم "[2]. وهو تعريف في الحقيقة دقيق جداً يفوق كثيراً من التعريفات القديمة والحديثة، ذلك لأنه جمع جلّ خصائص اللغة. وقد احتل هذا التعريف مكاناً مميزاً في التراث العربي لدقته، حتى إنك لتجده في المعاجم، وكثير من كتب العربية[3]. ويرتكز تعريف ابن جني على أسس أربعة هي:

1- الأصوات. 2- الاتصال (التعبير). 3- المظهر الاجتماعي (كل قوم). 4- الوظيفة (الأغراض).

فاللغة يجب أن تكون أصواتاً منظمة لها وظيفة أولى هي الاتصال، ومعنى ذلك أن مجرّد الأصوات (المسموعة) التي لا تؤدي وظيفة اتصال مع الغير لا تدخل في مجال اللغة من جهة، ومن جهة أخرى إذا تم اتصال دون أصوات، فليس ذلك من مجال اللغة بهذا الحدّ، وإن كانوا يطلقون مصطلح اللغة على إشارات البكم - لتوفر الاتصال - فيقولون لغة الصم البكم، إلا أن هذا الإطلاق إطلاق مجازي وليس حقيقياً. ثم إن هذا التعبير يجب أن يتمّ داخل مجموعة إنسانية، وهو الذي عناه بعض المحدثين بقولهم إن اللغة ظاهرة اجتماعية[4]، وهي الصفة التي أقرّها اللسانيون وعلماء الاجتماع أيضاً. ثم يشير تعريف ابن جني إلى تعدّد اللغات، فكل قوم لهم لغتهم التي يعبّرون بها داخل المجموعة.

---

[1] عبدالرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007. ص82.

[2] ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1955. ج1 ص33.

[3] انظر مثلاً القاموس، (ل غ و)، و ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1/1955. (ل غ و). وانظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ج1 ص7. حيث فتح به كتابه.

[4] ويعدّ دوسوسير اللغة نتاجا اجتماعيا. انظر دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، محمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، ط1/ 1985. ص33. ويرى د/ محمود فهمي حجازي أن دوسوسير وصل إلى هذه النتيجة بعد استفادته "من جهود لغويين سابقين، كما أفاد من عالم الاجتماع دوركايم في تعريف اللغة بأنها حقيقة اجتماعية". انظر محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت. ص33.

وقد لاحظ د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن تعريف ابن جني لا يمس اللغة فقط بل يعني به اللسان بوجه عام، وهي إشارة إلى أن الحدّ الذي وضعه ابن جني للغة هو الحدّ الذي يفهم منه علم اللسان في حدّ ذاته، وهو الترجمة الحقيقية لمصطلح Linguistique[1].

كما ذكر د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن **الفارابي** (339هـ) هو **المؤسس بحق لعلم اللسان بمفهوم اللسانيات الحديثة**. حيث أكّد أن الفارابي في كتابه (إحصاء العلوم) . عندما تحدّث عن (علم اللسان) .لم يكن يقصد لسانا معينا وإنّما كان يقصد كل اللغات. قال د/ عبد الرحمن الحاج صالح " وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدّمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوروبيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر، حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب وخصوصا هذا الكتاب (أي إحصاء العلوم)"[2].

ويؤكد د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن أول من استعمل مصطلح (**علم اللسان العام**) هو (جيراردو كريمونيسي) عندما ترجم كتاب (إحصاء العلوم) للفارابي في القرن الثاني عشر، حيث جاءت فيها هذه العبارة Scientia lingue مقابلة للفظ علم اللسان. وأن هذه التسمية لم تكن موجودة قبل هذه الترجمة، ولم يعثر عليها في نص يوناني أو لاتيني، أو أي نص آخر، وبما أن " الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي كأقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الـ Linguistics في عصرنا الحاضر، فلا نظن أنه يوجد لفظ أصلح من هذا لتأدية المفهوم الحديث الذي انطلق منه أصحاب الـ Linguistics أنفسهم"[3]

بعد هذا العرض السريع لهذه المصطلحات يظهر جليا أن مصطلح اللسانيات هو الأقرب إلينا لسببين: الأول لأنه يتكون من مفردة واحدة جامعة للعلم المقصود بخلاف المصطلحات المركبة (علم اللسان، علم العربية، علم اللغة...). والثاني لأن مصطلح اللسانيات أصبح أكثر المصطلحات تداولا في الجامعات العربية الحديثة، وتجده متداولا بقوة عند كافة علماء اللغة الكبار أمثال عبدالرحمن الجاج صالح وغيره.

---

[1] بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص82.

[2] م ن، ص87. و يقول د/ عبد الرحمن الحاج صالح: وهذا لا يعني أن كتاب الفارابي هو مصدر كل علوم اللسان الحديث، فإن في هذا العلم أمورا كثيرة ابتدعت في زماننا. انظر م ن، ص87.

[3] انظر م ن، ص87. الهامش.

كما نتبنى مفهوم اللغة التي وضع حدها ابن جني كونها وسيلة اتصال وتعبير باستعمال الصوت داخل الجماعة.

2) **عناصر الاتصال ووظائفها:**

لقد فهمنا أن اللغة هي الصلة التي تربط بين بني البشر لقضاء حوائجهم، وهذا الاتصال أصبح اليوم موضوع علم قائم بذاته له مناهجه ومدارسه، والذي يهمنا في مسألة الاتصال هنا هو عناصره ووظائفه، فلا يمكن أن نخوض في الحديث عن علم الاتصال ونظرياته حتى لا يأخذنا الموضوع بعيدا، لذا سنركز فقط على العناصر المكونة لعملية الخطاب والتي أهمها أن يكون هناك شخصان على الأقل لتكون الدورة الكلامية تامة على حد تعبير دوسوسير[1]، وهما المرسل والمرسل إليه. والذي تعمق في هذه المسألة في الحقيقة هو (جاكبسون) عندما تحدّث عن وظائف اللغة، هذه الوظائف التي استلهمها من نظرية الاتصال التي ظهرت لأول مرة سنة 1948[2]. حيث نشر (كلود شانون) في هذه السنة دراسة بعنوان: (النظرية الرياضية للاتصال)، والتي كان لها تأثير كبير على اللسانيات آنذاك، ويعد شانون أول من تكلّم عن عناصر الاتصال الأربعة: المرسل والمرسل إليه والقناة والرسالة. وقد استطاع جاكبسون أن يستثمر هذه الدراسة ويوسع البحث في عناصر الخطاب ووظائفه.[3]

أ. **وعملية الاتصال عند جاكبسون تتكون من ستة عناصر بوظائفها[4] وهي:**

المرسل ووظيفته تعبيرية، المرسل إليه ووظيفته تأثيرية، الرسالة ووظيفتها إنشائية، القناة ووظيفته وصفية، شفرة الاتصال ووظيفتها تنبيهية، المرجع ووظيفته مرجعية.

ب. وهذه العناصر ووظائفها عند محمد عزام هي[5]:

المرسل ووظيفته تعبيرية، المرسل إليه ووظيفته إفهامية، الرسالة ووظيفتها إنشائية، القناة أو (السنن) ووظيفتها معجمية، الشفرة أو (الصلة) ووظيفتها تنبيهية، المرجع أو (السياق) ووظيفته مرجعية.

---

[1] دروس في الألسنية العامة، ص31.

[2] comprendre la linguistique, marabout, france,1975. P44.

[3] 44 comprendre la linguistique P

[4] انظر د/ محمد عزام، التحليل الألسني للأدب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط1/ 1994. ص94.

[5] التحليل الألسني للأدب، ص 94

ج. أمّا د/ ميشال زكرياء فيرى المسألة كالآتي[1]:

المرسل ووظيفته تعبيرية انفعالية، المرسل إليه ووظيفته ندائية، الرسالة ووظيفتها شعرية إنشائية، القناة أو (اللغة) ووظيفتها تعدّي اللغة، الشفرة أو (الاتصال) ووظيفتها إقامة اتصال، والمرجع أو (المحتوى) ووظيفته مرجعية،

وقد ذهبت د/ خولة طالب الإبراهيمي مذهباً مخالفاً تماماً حيث أضافت عنصرين جديدين هما: (جهاز الإرسال)، و(جهاز الالتقاط). والأول هو اللسان الجارحة، والثاني الأذن، واحتفظت بالمرسل، والمرسل إليه، والقناة، والخطاب، والوضع. وتقصد بالقناة (الهواء الموصل للأصوات) خلافاً للآخرين، وتقصد بالخطاب (الكلام)، وتقصد بالوضع (اللغة المتفق عليها). لكنها عندما تحدّثت عن الوظائف ذكرت وظائف جاكبسون الستة. وظاهر أن وظائف جاكبسون مرتبطة بالعناصر التي ذكرها هو، لكن د/ خولة أزاحت عنه عنصري الشفرة، والمرجع، وأضافت ثلاثة عناصر جديدة وهي (جهاز الإرسال، الالتقاط، والوضع)[2].

عناصر الاتصال ووظائفها في التراث العربي:

نبّه د/ عبد الرحمن الحاج صالح أن العرب أعاروا اهتماماً بالغاً لدور المتكلم وتصرفاته بحسب أغراضه وبمقتضى الحال، بل إن عنصر (الشفرة) الذي ذكره جاكبسون له ما يماثله في البحث اللغوي ونظيره عند سيبويه **الأسماء المبهمة**. بالإضافة إلى تقسيم العرب الجيد للكلام إلى خبر وإنشاء، وكل ذلك يدخل في فهم تلك الوظائف.

ويوعز د/ عبدالرحمن الحاج صالح فهم العرب إلى هذه الظواهر تحمسّهم الخارق للعادة لدراسة العربية لغة القرآن[3]. وذكر د/ عبدالرحمن الحاج صالح أن مفهوم دورة التخاطب عند العرب يتم باستعمال المتكلم الوضع[4] لإحداث الخطاب، فتنتقل العناصر من أغراض إلى معان ثم إلى ألفاظ[5]، ثم يحمل المخاطَب الخطاب على الوضع، فتنتقل

---

[1] د/ ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1/ 1984، ص172.

[2] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2/ 2006. ص28.

[3] بحوث ودراسات من اللسانيات العربية، ج1 ص350.

[4] ويقصد به الحال التي تتم فيها عملية الاتصال.

[5] وهذا الانتقال هو عملية ذهنية تتحول فيها حاجة الكلام إلى معنى ثم ألفاظ. ثم تعود عكسيا.

الألفاظ إلى معان ثم أغراض. وتتم العملية بالقرائن المقالية، والحالية[1]. التي يفهمها المخاطب.

وهذا الذي ذكره عبدالرحمن الحاج صالح هو النظرية الاتصالية العامة في التراث العربي، وقد عثرنا على وجهات نظر أخرى شبيهة بما ذكر سابقا، وأخرى أعمق من ذلك، ومن الذين أبدعوا في الحديث عن عناصر الاتصال ووظائفها نجد **الإمام فخر الدين الرّازي** (606 هـ)[2] الذي يعد من كبار العلماء الأصوليين حيث ينطلق في تحديد عناصر دورة الخطاب من القرآن الكريم، فيرى أن العناصر تتحدّد انطلاقا من (الرسالة) وهي عنده القرآن الكريم ذاته[3]. وهذه الرسالة عند الرّازي لا تتم إلا بأركان أربعة: المرسِل، والمرسَل، والرسالة، والمرسَل إليه [4]. وإذا وضعنا في الحسبان أن القرآن هو الرسالة اتضح لدينا أن:

1- المرسِل: هو الله تعالى.

2- الرسالة: هي القرآن.

3- المرسَل إليه الأول: هو النبي صلى الله عليه وسلم.

4- المرسَل إليه الثاني: هو كل من قرأ القرآن الكريم، من الأمة أو البشرية جمعاء.

ويوضح هذا كله في قوله " اعلم أن أمر الرسالة إنّما يتمّ بالمرسل وهو الله سبحانه وتعالى، والمرسَل وهو الرسول، والمرسل إليه وهو الأمة "[5].

---

[1] م ن، ج1 ص351.

[2] فخر الدين الرازي هو محمد بن عمر التيمي البكري الملقب بابن خطيب الري، ولد في الري سنة 543هـ وتوفي سنة 606هـ تتلمذ على أبيه وأخذ عنه علم الأصول والجدل، ثم طاف البلاد لطلب العلم فبرع في معظمها، وألّف ما يصل إلى مئتي مصنف في شتى الفنون أهمها كتابه الشهور: المحصول في أصول الفقه، وتفسيره الكبير: مفاتيح الغيب. انظر ترجمته عند ابن خلكان، وفيات الأعيان ، تح د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1971. ج4 ص 248. وتاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ود/ محمود محمد الطناحي، دار هجر، القاهرة، ط1992/2. ج8 ص81. وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، د ت. ص462.

[3] مفاتيح الغيب، ج 12 ص48.

[4] م ن، ج25 ص279.

[5] م ن ، ج 14 ص17.

ويحدّد الرّازي وظيفة المرسل إليه الأول بأنها وظيفة تبليغية، بينما وظيفة المرسل إليه الثاني وظيفة تبعية، أو بالأحرى وظيفة انقيادية وذلك بقوله " فلما أمر في الآية الأولى الرسول بالتبليغ والإنذار ... أمر المرسل إليه وهم الأمة بمتابعة الرسول "[1]. وأسمينا هذه الوظيفة بالوظيفة الانقيادية لكي تشمل كل أنواع الخطاب الذي يمارس فيه الأول دور القائد بوظيفته **التبليغية** ليقوم الثاني بوظيفة الانقياد (الطاعة المطلقة للقائد)[2]، وجدير بهذه الوظيفة أن يعنى بها في دراسة النصوص.

أمّا الرسالة - الخطاب - فهي القرآن الكريم لقوله تعالى {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[3]، فالقرآن أعظم الرسائل على الإطلاق، ووظيفته أكبر مما يمكن وصفها، وهي تتجاوز الوظيفة الإنشائية، ونرجح أن تكون وظيفته **هدائية** لقوله تعالى { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ** مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ **وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** [4]{

هذا ويشير الرّازي إلى عنصر (القناة) أو السنن عندما يتحدّث عن وجوب اتفاق المرسل والمرسل إليه حول اللغة لكي يقع غرض التفاهم، وذلك في تفسيره لقوله تعالى "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ "[5]. أي أن (القناة) المستعملة في الرسالة عربية، إلا أن الذين كفروا في آذانهم وقرٌ حتى لو أنزل عليهم القرآن بلغة أعجمية [6].

ويذهب الرّازي بعيداً عندما يتحدّث عن علاقة عناصر الخطاب فيما بينها حين يقول: "فإنه تعظم الرسالة بتعظيم حال المرسِل ليكون المرسَل إليه أقرب إلى الامتثال"[7].

---

[1] مفاتيح الغيب، ج 14 ص15.

[2] يمكن إسقاط هذه الوظيفة على أشكال الخطاب التي يكون فيها المرسل آمرا، والمرسل إليه طائعا بالقوة، وذلك كالقائد العسكري، أو الأب، أو أي مسؤول تجب طاعته.

[3] سورة المائدة، الآية 67

[4] سورة المائدة، الآية 15، 16

[5] سورة فصّلت، الآية 44.

[6] مفاتيح الغيب، ج 27 ص133.

[7] م ن، ج 5 ص22.

ومثل هذا النص جدير بالإجلال لأن الرّازي هنا يضع لنا مقياساً نعرف به مستوى تلك العناصر وبالتالي قوة وظائفها. فكلما كانت الرسالة عظيمة دلت على أن المرسِل عظيماً، وأن المرسل إليه مستعد للانقياد والامتثال. وفي النص إشارة إلى كل الوظائف التي عناها اللسانيون المحدثون.

نستنتج مما سبق أمرين:

1- تحديد عناصر الخطاب ضرورة لفهم النصوص.

2- الظاهر أن نظرية جاكبسون لاقت رواجاً كبيراً خاصة في حقل تعليم اللغات، وعلم النفس التربوي، وغيرها من المعارف المرتبطة بالحقل الإنساني.

3- لاحظنا أن عناصر الاتصال نوعان: عناصر رئيسية وأخرى ثانوية. والعناصر الرئيسية أربعة وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة. وما عدا هذا فعناصر مكملة ومدعمة لها.

4- عناصر الخطاب ليس بدعا في تراثنا العربي، وليست من إبداع الغرب كما يتوهم كثير من اللغويين المحدثين.

5- ومنهجنا يتبنى التوجه التراثي في فهم عناصر الخطاب.

ب. رأينا فيما يخص عناصر الاتصال الرئيسية:

ذكرنا أن اللغوين يتفقون حول أغلب عناصر الاتصال التي أسميناها (الرئيسية)، لكنهم يختلفون حول الوظائف، أما نحن فنتفق معهم أيضا حول العناصر الرئيسية الأربعة (المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة) مع خلاف بسيط حول عنصر (المرسل إليه). والعناصر الرئيسية في رأينا خمسة وهي:

❖ **المرسل**: وهو المتكلم الأول في حال الأداء، وهو كل منتج أول لنص مسموع أو مكتوب.

❖ **المرسل إليه الأول**: وهو الذي من أجله أنتج النص وقد يكون سامعا أو قارئا أولا.

❖ **المرسل إليه الثاني**: وهو الذي اطلع على النص واتصل به، بعد المعني الأول من الخطاب.

❖ **الرسالة**: وهي مفهوم النص وهدفه وقصده.

❖ **القناة**: وهي وسيلة نقل النص وقد تكون صوتا أو حرفا أو إشارة أو رمزا.

فالإضافة هنا متعلقة بالمرسل إليه الذي وجدناه يتعدد دائما، فهناك مرسل إليه أول كما هناك مرسل إليه ثان، وثالث ورابع...إلخ، والكل مختلفون في حال تلقي الخطاب، فالمتلقي الأول لرسالة القرآن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مرسل إليه أول،

أما المتلقي الثاني أو المرسل إليه الثاني فهو كل قارئ للنص القرآني بعد محمد صلى الله عليه وسلم. ويمكن أن نلاحظ هذا أيضا في أي قصيدة عربية، حيث يمكن أن نعرف المرسل إليه الأول مباشرة بمجرد معرفة موضوع القصيدة، فإن كانت في الغزل فالمرسل إليه الأول هو المرأة المتغزل فيها كعبلة بالنسبة لعنترة، وفاطم بالنسبة لامرئ القيس، وبثينة بالنسبة لجميل، وكل قارئ لمثل هذه القصائد فهو مرسل إليه ثان، ومثل ذلك يقال في قصيدة الهجاء؛ فجرير هو المرسل إليه الأول بالنسبة للفرزدق، وكل من يقرأ قصائد الفرزدق فهو مرسل إليه ثان. وفي قصيدة (عيد بأية حال عدت يا عيد) للمتنبي مثلا تتحدد العناصر الرئيسية كالآتي:

1) المرسل: هو الشاعر المتنبي
2) المرسل إليه الأول: هو كافور الإخشيدي
3) المرسل إليه الثاني: هو كل من قرأ القصيدة بعد كافور الإخشيدي
4) الرسالة: هي هجاء كافور والانتقام منه
5) القناة: هي اللغة العربية

عناصر جديدة:

ولإتمام صورة منهجنا فقد أضفنا إلى هذه العناصر أربعة عناصر أخرى جديدة هي: **الحال، والظرف، والسبب، والحامل**.

1 - الحال: ويقصد به الكيفية التي تمت بها العملية الاتصالية، ولا نقصد به السياق الحالي أو الاجتماعي وغيره، الذي نريده هو: هل تمت عملية الاتصال بكيفية مباشرة بين المرسل والمرسل إليه أو بكيفية غير مباشرة؟ أي بحضورهما في نفس الزمان والمكان، أو بغياب أحدهما؟ فكثير من النصوص تنتج في غياب المتلقي خاصة إذا تم إنتاج الفعل الأدبي بصفة منفردة، فهذا يختلف عن الإنتاج الأدبي المباشر في حال تلقيه كالعمل المسرحي، أو الأمسية الشعرية أو الحفل الفني، فالمرسل والمرسل إليه يتبادلان الوظائف بصورة مباشرة وسريعة بخلاف الحال إذ كانا في مكانين مختلفين.

2 - الظرف: ويقصد به ظرفا الزمان المكان الذي وقعت ضمنه العملية الاتصالية، فيجب أن نعرف:

أ- **زمن وقوع الاتصال:** لأن ماضي النص ليس كحاضره، وما يقال في النهار يختلف عما يقال في الليل، وما يقال في عيد الأضحى يختلف عما يقال في رأس السنة، فلكل حديث

مناسبة. والمتلقي الذي يقرأ نصا في الليل يختلف عن الذي يقرأه في الظهيرة، والذي يقرأ نصا في رمضان يختلف عن الذي يقرأ في شعبان.

ب - **مكان وقوع الاتصال:** لأن ما يقع في الداخل يختلف عما يقع في الخارج، فما يمكن أن يقال في بلدك يختلف عما يمكن أن يقال خارجه، وما يقال في المسجد يختلف عما يقال في السوق. فيجب أن نعرف أين وقعت عملية الاتصال، فالمرسل إليه الذي يقرأ قصيدة على نفسه في غرفته في الليل تختلف أحواله إذا قرأها أمام الجمهور في مسرح أو في حديقة، والمتلقي لقصيدة في غرفته يختلف عن تلقيها في المسرح وأمام الناس.

3 - السبب: ويقصد به السبب المباشر لحدوث عملية الاتصال، ونحن نعتبر أن السبب أس مهم في إنتاج النص، لأنه وفر ظروفا خاصة وحالات معينة دفعت المرسل إلى إنتاج نص مخصوص. فلا يوجد حادث دون سبب، ولا توجد صدفة في إنتاج خطاب مهما كان نوعه.

4 - الحامل: ويقصد به الصورة المادية التي تحمل الرسالة، فقد تكون الرسالة صوتا كإلقاء قصيدة أو قراءة قصة قصيرة أو مسرحية أو نشيد، وقد تكون الرسالة مكتوبة في رواية أو ديوان شعر، أو تكون كتابا من ورقة واحدة، أو رسالة بريدية، أو برقية بريدية، أو رسالة مختومة، أو غير مختومة، أو ورقة صحيفة، أو جلد حيوان، أو كتف حيوان، أو سعفة نخيل، أو جدار، أو تكون رسالة صوتية مسجلة، أو رسالة إلكترونية عبر الأنترنيت، أو رسالة نصية SMS في هاتف جوال، أو رسالة سمعية بصرية،،، إلى غير ذلك من أنواع الصور المادية لحامل الرسالة. فلكل حامل دلالته ومن شأنه أن يؤثر على الرسالة أو المرسل إليه.

أما الوظائف حسب تصنيفنا الجديد فهي كالآتي:

1. **المرسل:** وظيفته تبليغية
2. **الرسالة:** وظيفتها تأثيرية
3. **القناة:** وظيفتها تواصلية
4. **الحال:** وظيفته حالية
5. **الظرف:** وظيفته ظرفية
6. **السبب:** وظيفته سببية
7. **الحامل:** وظيفته رمزية
8. **المرسل إليه الأول:** وظيفته استقبالية

9. **المرسل إليه الثاني:** وظيفته فهمية

تنبيه: رتبنا هنا المرسل إليه الأول و المرسل إليه الثاني في آخر الترتيب لأن دورهما متأخر عن كل تلك الوظائف، فالمرسل أول من ستصله الرسالة بعد إنتاجها بلغة مخصوصة في حال وظرف وسبب مخصوص لتصل برمز مخصوص. وبعد المرسل إليه الأول يأتي دور المرسل إليه الثاني للاطلاع على النص. قد يقول البعض إن القناة والحال والظرف والسبب وحتى الحامل موجودون قبل المرسل، وهذا صحيح في الظاهر، والحقيقة أن كل تلك العناصر لا معنى لها إذا لم يكن هناك مرسل، فبدونه لا وجود للاتصال ولا وجود للخطاب أصلا. لذلك يبقى المرسل دائما في المرتبة الأولى.

❖ **كيف نطبق هذا المنهج؟:**

تعتمد الدراسة التطبيقية وفق هذا المنهج على ثلاثة أسس:

الأول: تحديد العناصر الاتصالية وتعريفها وبيان وظائفها.

الثاني: يحتاج التعريف إلى عنصرين مهمين هما: المعارف، والأدوات.

الثالث: ممارسة العملية النقدية والتحليلية للعناصر بالتفصيل والإجمال لفهم النص فهما علميا دقيقا.

أولا: تحديد العناصر الاتصالية وتعريفها وبيان وظائفها:

1: التحديد: نقصد به تحديد كافة العناصر الاتصالية المذكورة أعلاه في اقتراحنا بدقة وهي (المرسل، الرسالة، القناة، الحال، الظرف، السبب، الحامل، المرسل إليه الأول، المرسل إليه الثاني)، حيث يجب توافر كل العناصر بصفة فعلية في النص المدروس بعيدا عن التأويل أو الترجيح بوجود عنصر دون آخر، لأن كافة النصوص سواء كانت مقصودة إبداعيا أو غير مقصودة؛ تحتاج لتوافر كافة العناصر التي اخترناها لهذا المنهج.

2: التعريف وبيان الوظيفة: ونقصد به تعريف كافة عناصر العملية الاتصالية بدقة، مع ذكر كل ما نصل إليه من معلومات تخدم التحليل لفهم دقيق للنص. ويجب أن تتم دراسة العنصر المقصود ضمن علاقته بالعناصر الأخرى وليس بمعزل عنها، ونقصد بذلك أن التحليل هنا سيركز على العنصر الرئيس ضمن علاقته بالعناصر الثانوية. مثلا العنصر الأول في التحليل هو المرسل، وهذا نعتبره في التحليل العنصر الرئيس، وأثناء التحليل سنحتاج للحديث عن العناصر الأخرى وهي المرسل إليه والرسالة والقناة...

وهذه العناصر نسميها العناصر الثانوية. ثم يجب أن نؤكد على وظيفة العنصر وأن نبحث عنها ونستشعرها في النص ونبينها.

ثانيا: يحتاج التعريف إلى عنصرين مهمين هما: المعارف، والأدوات:

1: المعارف: ونقصد بها المعلومات المحيطة بالعملية الاتصالية، فتحليلنا يحتاج إلى معارف متنوعة نعدها ضرورية لفهم النص، فالمرسل والمرسل إليه مثلا يحتاجان إلى بحث في التراجم والتاريخ، فلا يمكن فهم نص للفرزدق دون معرفة لسيرته وعلاقته بجرير، بل يجب البحث في المحيط المتضمن لإنتاج النص من حيث الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للزمن المنتج للنص، وكذا فهم الطبيعة الجغرافية للمناخ الذي ولد فيه النص. إن المحلل بمثل هذا المنهج يحتاج إلى مكتبة غنية في مختلف المعارف العلمية سواء كانت علوما إنسانية أو تجريبية، والإحاطة بالنص وأحواله تفرض علينا الاستعانة بكثير من العلوم المجاورة، وهو مبدأ يعرفه كثير من اللسانيين خاصة ما اقترب من الدراسات اللغوية كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم البعيدة كالرياضيات والفيزياء. **كل هذه المعارف تعد مفاتيح لمغاليق النص.**

2: الأدوات: ونعني بها آليات التحليل للنص ذاته التي نسميها الأدوات المساعدة لفهم النص، فالنص الأدبي المبدع يحتاج إلى تمكن في الدرس النحوي والبلاغي والأسلوبي، والإشارة إلى هذه الخواص الإبداعية ضروري خاصة أثناء تناول عنصري الرسالة والقناة بالتحليل، ونحن هنا سنسعى إلى توضيح معاني النص ومقاصده دون اللجوء إلى تلك الإجراءات (الجافة) المميتة للنص كما يفعل أصحاب بعض المناهج الذين يتكلفون في فهم الجمل الجاهزة. منهجنا يعتبر النص جزءا من العملية الإبداعية وليس هو كل شيء، فلولا المرسل إليه والحال والظرف وغير ذلك من العناصر لما وجد النص. بل يتوقف فهمنا الصحيح للنص على فهم العناصر الأخرى ووصفها بدقة لفهم الظروف المحيطة بالإنتاج.

ثالثا: ممارسة العملية النقدية والتحليلية للعناصر بالتفصيل والإجمال: وتعد هذه العملية جوهر منهجنا اللساني الاتصالي في النقد، حيث سنرى نتائج عملنا وما توصلنا إليه من تحاليل للعناصر، فهذه المرحلة نعدها مرحلة تقييمية نهائية لكل العملية الاتصالية.

1 التفصيل: يرى منهجنا أن هناك تفاوتا واضحا بين عناصر الاتصال، وكل عنصر له دلالة تختلف درجتها عن العنصر الآخر. ونعني بالتفصيل تقييم دور كل عنصر من عناصر الاتصال، وتحديد فاعليته في العملية الاتصالية. وهذا التحديد يتم بملاحظات دقيقة للدرجة الدلالية للعنصر، أي مدى حضور العنصر في حقيقته أو مجازاته في مختلف مراحل العملية. وينتهي تقييمنا لهذه العناصر بإعادة ترتيبها ترتيبا تنازليا حسب التقديرات الملموسة لفاعلية العنصر وقد يكون هذا الترتيب نسبيا إلا أنه ضروري للفصل بين أدوار العناصر، فلو تحدثنا عن نص القرآن الكريم مثلا وأردنا أن نرتب عناصر العملية الاتصالية الواقعة ترتيبا تنازليا؛ لتحدثنا في البداية عن المرسل الأول ألا وهو الله عز وجل ثم الرسالة ثم المرسل إليه الأول،،، وهذا ترتيب منطقي للعملية.

2 الإجمال: إن الغاية من المنهج النقدي هو معرفة مكامن اللذة الإبداعية وأسرارها وأسباب حدوثها، والنقد أساسا لا يعدو ملاحظة للمستويات الجمالية في العمل الإبداعي، وبالتالي سنقدم في هذه المرحلة الإجمالية أسباب المتعة في العملية الاتصالية المبدعة إن أتت بثمارها وحققت غايتها في النجاح، وربما نقدم ملاحظات أخرى أقل أهمية عن العملية نكتشفها من خلال الملاحظات التفصيلية السابقة.

كل هذه الأسس لا يمكن الفصل بينها أثناء الممارسة النقدية، لأنها عملية متشابكة تحتاج إلى السيطرة التامة على كافة عناصر الاتصال وفهم وظائفها.

الخطوات النموذجية لتحليل أولي لعناصر الاتصال في قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهيروفق المنهج اللساني الاتصالي:

ملاحظة: في هذا التحليل سوف نكتفي بتحديد العناصر الاتصالية وتعريفها وبيان وظائفها، أما الخطوتين التاليتين فهما مضمنتان في عنصر التعريف؛ بتقديم الخطوط العريضة للتحليل.

- التحديد: العنصر الأول: المرسل
- التعريف: المرسل في هذا النص هو كعب بن زهير: ويجب هنا أن نستعين بكتب التراجم القديمة لتحدثنا عن سيرة كعب وأبيه، فننظر في طبقات فحول الشعراء

للجمحي، والشعر والشعراء لابن قتيبة إلخ... وننظر إلى وظيفة المرسل التبليغية ومظاهر هذه الوظيفة في سيرة كعب.

- التحديد: العنصر الثاني: الرسالة
- التعريف: الرسالة في قصيدة بانت سعاد هي موضوعها الأساس وهو مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا المدح الذي تحول فيما بعد إلى فن قائم بذاته وهو المدائح النبوية، ويجب هنا أن نذكر خصائص القصائد الغزلية، ونطرح إشكال سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعر الغزلي، ثم يمكن أن نتحدث هنا عن مقدمات القصيدة العربية من الطللية إلى الغزلية إلى الخمرية إلخ... ثم نعرض القصيدة من حيث عدد أبياتها ووزنها وقفراتها، ونحاول أن نبحث عن وظيفة الرسالة التأثيرية وكيف حاول كعب أن يؤثر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعفو عنه. ويمكن هنا أن نستثمر في هذا العنصر ونتحدث عن (البردة) التي أهداها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب، وقصة توارثها بين الخلفاء رضي الله عنهم حتى وصولها إلى العثمانيين، ثم كيف ألهمت هذه القصيدة شعراء المديح النبوي الذين عج بهم تاريخ الشعر العربي.
- التحديد: العنصر الثالث: القناة
- التعريف: القناة في مفهوم منهجنا هي اللغة العربية: فقصيدة بانت سعاد من الشعر العربي العمودي، علينا هنا أن نتحدث عن لغة القصيدة العربية من حيث بناؤها الخارجي (العروض والقوافي والموسيقى)، ثم نتحدث عن بنية القصيدة اللغوية من حيث الأصوات والمفردات والتراكيب، كما يمكن أن نتحدث عن الظواهر البلاغية في النص، وغايتنا هي إثبات الوظيفة التواصلية بهذه اللغة.
- التحديد: العنصر الرابع: الحال
- التعريف: كيف أوصل الشاعر رسالته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والثابت تاريخيا أن الشاعر قرأ قصيدته مباشرة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة حاضرين في الاستماع، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستوقف الشاعر بين الحين والآخر ويشير بذلك لأصحابه، خاصة عندما قال كعب:

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

فوظيفة الحال هنا بينت لنا الكيفية التي تم فيها الإرسال والتلقي.

- التحديد: العنصر الخامس: الظرف

- التعريف: في أي زمان وفي أي مكان وقعت عملية الاتصال؟ من حيث الزمان قرئت القصيدة نهارا، ويمكن أن نبحث عن زمان وقوعها بدقة، فما يقع في النهار يختلف عما يقع في الليل، وما يقع بعد الصلوات أو في وقت صلاة معينة له دلالته إلخ،.، أما من حيث المكان فأغلب الظن أن ذلك وقع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجب إذن وصف الزمان والمكان وصفا دقيقا لتبيان هذه الوظيفة الظرفية. ومعلوم قدسية بعض الأزمنة وبعض الأمكنة في الدين وهذا لا يخفى على أحد.
- التحديد: العنصر السادس: السبب
- التعريف: ما هو سبب وقوع هذه العملية الاتصالية، أو ما هو سبب انتاج هذا النص؟ لقد ذكرت كتب التاريخ أن كعبا هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أهدر دمه، فاتصل بجير بن أبي سلمى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخيه كعب وأبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوعده، فهام كعب بين القبائل ولم يجد من يجيره، فاتصل به أخوه ثانية ونصحه أن يأتي إلى المدينة تائبا، فأنتج كعب قصيدة بانت سعاد وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالسبب هنا له عناصر كثيرة منها أهمية الشعر في حياة العرب، ومنها خطورته على الإسلام، ومنها خوف كعب على حياته، ومنها عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه.
- التحديد: العنصر السابع: الحامل
- التعريف: الحامل هو الشكل أو الشيء الذي حمل النص والخطاب، والثابت أن كعبا قرأ قصيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته، والصوت كرمز له دلالات كثيرة لأن السامع للنص من صاحبه مباشرة ليس كمثل الناقل للنص بصوت آخر، ورمزية الصوت واضحة في الفرق بينه وبين الحامل المكتوب.
- التحديد: العنصر الثامن: المرسل إليه الأول
- التعريف: والمقصود هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، آخر الأنبياء والمرسلين، مؤسس الدولة الإسلامية الأولى ،الهادي إلى الحق المبين. ويجب أن نذكر هنا جهاده صلى الله عليه وسلم، وتدعيمه للشعراء المجاهدين كحسان بن ثابت، وما تلقاه من عداوة بعض الشعراء من الجاهليين.

ثم لماذا وكيف أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دم كعب؟ ثم نتحدث عن إعراضه عن الشعر وقول الشعر لأن ذلك يتنافى مع النبوة، وكيف كان يحب شعر الحكمة مثلا وحبه لعنترة وشعره، وفي الأخير يجب أن نتحدث عن أخلاقه العظيمة وأن الله تعالى مدحه بذلك، ومن أهم الأخلاق التي كان يتحلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق التسامح والعفو عموما والعفو عند المقدرة إلى جانب حلمه الكريم، كل ذلك جعل من النص تاريخا لا يمحى.

- التحديد: العنصر التاسع: المرسل إليه الثاني
- التعريف: وهو في المقام الأول الباحث أو الناقد لهذه القصيدة، وفي مقام ثان هو كل قارئ لهذه القصيدة، ويجب على الناقد هنا أن يعرف بنفسه ويوضح علاقته بالنص، لأنه حسب منهجنا أصبح عنصرا فعالا في عملية الاتصال ومن خلاله سنكتشف القيمة الفنية للنص لما يملكه من أدوات علمية ومعرفية وحس نقدي وحب للأدب، فالوظيفة الأساسة له هي فهم النص والكشف عن خباياه.

وبعد كل هذا العرض وتفاصيله الدقيقة، يحاول الناقد أن يجمل لنا نتائج التحليل ويقدم لنا أسرار العملية الاتصالية من حيث إبداعها وإحداث المتعة الفنية والأدبية لدى المرسل إليه المقصود بالرسالة أو غيره من الذين قرأوا النص.

الخاتمة

نعتقد أن هذا المنهج في تحليل النصوص سيكون بعيدا عن كل تلك التعقيدات والمتاهات التي تعرفها كثير من مناهج التحليل النقدي، فهو يأخذ بزمام النص وأحواله وفاعليه، وسيجيب على كل الأسئلة التي تخطر ببال الناقد، وستسمح له بمعالجة النص بطريقة منظمة وواضحة وممنهجة. والهدف من ذلك تقديم طريقة جديدة لفهم النص ورسالته الحقيقية بإدراك أحواله وظروف إنتاجه وأسبابه، والكشف عن الأثر الذي يمكن أن يترتب على المتلقي الأصلي أو الثانوي؛ لأن الغاية الأساس من إنتاج النص هو التعبير الإنساني عما يختلج في العقل أو الصدر، وكيف يصل كل ذلك إلى المتلقي. فإذا ما عرفنا ذلك فإن عملية الخطاب كاملة يمكن اعتبارها قد تمت بنجاح، ويكفي أن تكون محاولتنا في تقديم منهج نقدي جديد؛ محاولة جديدة لفهم النص، وهي قابلة للمناقشة والإثراء من قبل الباحثين وممارسي النقد والبحث اللساني، فمن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد. والحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع الدراسة :

جلال الدين السيوطي، الاتقان في علو القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1974.

- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1955.

الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987.

ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988.

خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.

دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، محمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، ط1، 1985.

- سيبويه، الكتاب، تحقيق د/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط،1966.
- عبدالرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر. د ت.

ابن فارس، المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب، تحقيق الصاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1420 هـ

- الفيروزأبادي، القاموس المحيط، تحقيق نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- محمد عزام، التحليل الألسني للأدب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط1، 1994.

محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة، القاهرة، د ط، د ت.

ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1955 .

R.JAKBSON. Comprendre la linguistique, marabout, france,1975.